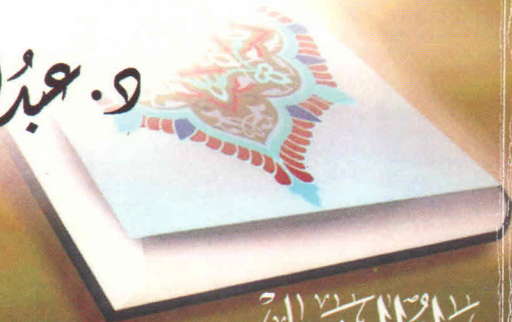


إلى من

حبيبته

السحب

و. عبد الله القاسم



دار القاسم

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١٩هـ

© دار القاسم للنشر ، ١٤١٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القاسم ، عبدالمك بن محمد .

إلى من حجبه السحب . - الرياض .

٩٦ ص : ١٢ × ١٧ سم .

ردمك : ٤ - ١٠٢ - ٣٣ - ٩٩٦٠

١ - الوعظ والإرشاد

٢ - الشباب

أ - العنوان

١٨/٤١٥٥

ديوي ٢١٣

رقم الإيداع : ١٨/٤١٥٥

ردمك : ٤ - ١٠٢ - ٣٣ - ٩٩٦٠

دار القاسم للنشر والتوزيع

المكتب الرئيس هاتف: ٤٠٩٢٠٠٠ - فاكس: ٤٠٣٣١٥٠
فروع دار القاسم للنشر

جدة - هاتف: ١٠٢٠٠٠٠ - فاكس: ١٣٣٣١٩١

الدمام - هاتف: ٨٤٣١٠٠٠ - فاكس: ٨٤١٣٠١١

بريدة - هاتف: ٣٢١٢٨٨٨ - فاكس: ٣١٩٢٨٨٨

خميس مشيط - هاتف: ٢٢٢٢٢٢١ - فاكس: ٢٢٢٣٠٥٠

السويدي - هاتف: ٤٢٤٣٥٥٥ - فاكس: ٤١٧١٧٠٩

www.dar-alqassem.com

sales@dar-alqassem.com

المقدمة

الحمد لله الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن شباب الأمة هم عمادها بعد الله عز وجل، وهم فجرها المشرق وأملها المنتظر.

ولقد رأيت قلةً فيما كُتِبَ لهم رغم الحاجة الماسة إلى ذلك.. فسطرت بقلمى وأدليت بدلوي محبة لمن حجبتة السُحب وتأخر عن العودة.

وهي ورقات يسيرة متنوعة المواضيع.. أدعو الله عز وجل أن يبارك في قليلها، وأن تكون سبباً في انقشاع السُحب عن عين ذلك الشاب الذي تنتظره أمة محمد ﷺ ليسير مع الركب ويلحق القافلة.

قبل البداية

أخي الشاب:

رسالتي هذه إليك قصيرة جداً ولا تكفي أن أبث لك فيها ما أريد . . . ولكن حسبي منك نباهة وفطنة .
 لقد عرفتك تحب الحوار . . . وتتطلع إلى معرفة كل جديد . . . امنحني عشر دقائق من وقتك وأصغ بسمعك وارعني قلبك . . . ثم بعد ذلك أنت الحكم .

أخي الحبيب:

لقد احترت في نقطة البداية وأنت تضع يدك في يدي!!
 وعينك على حروفي؛ ولذا جمعت لك شهداً مصفى وزهراً معطراً بالشذا . . .
 إني محدثك بمجموعة من القصص قبل أن أبدأ حديثي معك . . . جعلت ثلاثاً منها في البداية . . . وهي قصص رأيت بعضها وسمعت بعضها ويتناقل الركبان أضعافها!!

فلا تبخل عليَّ بقراءتها والتمعن فيها ويهمني معرفة رأيك
في نهايتها . . بل وفي بدايتها .
جعلك الله إماماً للمتقين وقائداً فاتحاً من قواد المسلمين
ونفع بك الإسلام والمسلمين . . ومثلك لا تسقط راية
الإسلام من يده .

القصة الأولى

انتهت الإجازة والناس بين مُشرقٍ ومُغربٍ . . وكل نفس
بما كسبت رهينة . . اجتمع الأصدقاء . . كلٌ يحكي ما رأى
ويورد ما شاهد!!

أحدهم سبقت ضحكته حديثه وهو يحكي رحلته إلى
أمريكا وقصة هبوط الطائرة الاضطراري!!
أما الآخر فقد كان مغرماً بحب الرحلات والمغامرات . .
وتملكه حب الصيد ومطاردة الغزلان والأرانب حتى وصل
إلى القارة السوداء . . وكان حديثه متميزاً . .

قال: ذهبت إلى أفريقيا وسرت في أرضها وبين أشجارها
وغاباتها . . مناظر رائعة وطبيعة خلابة لاتمَلَّ مشاهدتها . .
وفي وسط غابة متشابكة الأطراف لاح لنا مبنى مرتفع . .
وخطر في بالي أن هذا القصر لحاكم الولاية أو لغني من
أغنيائها . . ولكنه خاب ظني وأخطأ حدسي . . فما أن اقتربنا

منه وبدت ملاحظه حتى اتضح أنه كنيسة يعتني بأمرها منصرٌ عجوز قارب الثمانين من عمره يعيش في غرفة صغيرة في زاوية منها لا تتجاوز مساحتها عشرين مترًا مربعًا. . في مجاهل مروعة وسط غابة مليئة بالوحوش واللصوص وقطاع الطرق. . وليس في هذه الغرفة أي وسيلة من وسائل الحياة المعاصرة التي نعيشها. . فلا يوجد هاتف ولا كهرباء ولا ماء. . ولا ما تراه عينك من الخدمات يوميًا!! وهذا المبنى الضخم هو الكنيسة التي يدعو فيها صباحًا ومساءً. . حتى يرهقه التعب ويدركه النوم ثم يأوي إلى غرفته الصغيرة في زاوية مجاورة لمبنى الكنيسة!! ولكن ما الذي دفع هذا المنصر لأن يبقى في هذه الغرفة وسط الوحوش وفي ظل الخوف أربعين سنة متواصلة!!

لابد أن له هدفًا ينشده وأملًا يسير في طريقه!! أربعون سنة في مكان تختفي فيه وسائل الحياة المعاصرة. . أربعون سنة يكذب ويكدح. .

أربعون سنة وسط الغابات وعلى مرمى من زئير الأسد وأنياب النمر. .

سأخبرك لماذا بقي أربعين سنة في وسط هذا المكان . .
ولعلمي بفطرتك الطيبة وعقيدتك الصافية ستضحك على
ضلاله . .

إنه يدعو إلى دين مُحرف وطريق معوج . . ولكنه يمضي
قدماً ويسير في ثبات . يبحث عن فريسة في وسط أدغال
أفريقيا . . ربما تكون فريسته شيخ مسلم جائع أو طفل يتيم
أو امرأة مريضة . . وربما يمر عليه العام والآخر ولم يستمع له
أحد . . ولكنه الصبر على الضلال . .

هذا فرد من ملايين يدعون إلى دينهم الباطل . . وهو في
هذه الغابة المنقطعة عن العالم تصله طائرة مروحية كل حين
محملة بالغذاء والأدوية التي هي إحدى وسائل دعوته . . ثم
تغيب الطائرة لتهبط في مكان آخر فيه عجوز أو شاب آخر في
مثل سنك تفرغ للدعوة!! نعم إنها معركة طاحنة وحرب
ضروس لا هوادة فيها . . لقد بذلوا أموالهم وأوقاتهم
وسخروا إمكانياتهم في سبيل دينهم .

إليك معلومات سريعة عن جهودهم في سبيل التنصير،
ففي عام واحد هو عام ١٩٩٦م وحتى لا نرى ضباباً

فحسب .. بل إنه مطر أنبت شوكتًا وأرضًا جزأًا .. إليك الأرقام ..

- ١ - تم جمع مبلغ وقدره ١٩٣ مليار دولار أمريكي .
- ٢ - عدد المنظمات التنصيرية ٢٣٣٠٠ منظمة وأما المنظمات المتخصصة في إرسال منصرين فعددها ٤٥٠٠ منظمة .
- ٣ - عدد المنصرين الذين يعملون داخل أوطانهم هو ٦٣٥,٥٠٠, ٤ منصر . وبلغ الذين يعملون خارج أوطانهم ٣٩٨,٠٠٠ منصر . وبلغ عدد محطات الإذاعة والتلفزة التي تمتلكها المنظمات التنصيرية ٣٢٠٠ محطة . وعدد الأناجيل الموزعة ١٧٨,٣١٧,٠٠٠ كتابًا .

سنخجل أنا وأنت من تلك المعلومات والأرقام، وربما لم يقدم الكثير من المسلمين ريالاً واحداً مدى حياته!!

ألست معي في ذلك؟! وغداً سيسألك الله عز وجل عن شبابك فيم أمضيته؟! فما هو جوابك?!

وهاك أخي الحبيب معلومة تدمي الكبد وتقرح الفؤاد: أنشئء مستشفى تنصيري عام ١٩٦٥م في قرية (معلوم جات) في منطقة (شيتاجانج) في بنغلاديش التي لم يكن يوجد بها

نصراني آنذاك.. أما الآن فقد بلغ عددهم أربعين ألف
نصراني!!

وكان عدد السكان النصراري في بنغلاديش بطولها
وعرضها عام ١٩٧٢م مائتي ألف نسمة فقط.. ها هو قد
ارتفع عام ١٩٩١م إلى خمسة ملايين نصراني!! وخلف هذا
الرقم جهود وأموال وتضحيات!!

القصة الثانية

قال مُحدثي وكانت عليه علامات النجابة والنباهة وتعلوه سيما الخير والصلاح : نحن في زمن تُقبل فيه أنصاف الحلول وتميع فيه الأوامر والنواهي . . فما وافق الهوى أخذنا وما خالفه تجاهلنا . . وسأحدثك عن حادثة وقعت لي قبل شهور . . سأحدثك عن قريب بعيد . . قربه النسب وأبعده الدين . وبحكم اطلاعي على دقائق حياته وتفصيل أيامه فقد تأكد لي أنه لا يُصلي مطلقاً .

كنت أستعجل الأيام . . وأسير معه في الحديث خطوات عجلي ليقيم الصلاة ولكنه كان يقدم ويؤخر ويظن أن العمر طويل والحياة دائمة . . ورغم النهاية المرة التي يعلمها كل بني البشر إلا أنه يتماهل ويتجاهل .

قلت له : عشرون وثلاثون بل وثمانون عامًا ثم ماذا؟
الموقف نفسه سيمر عليك طالت بك الأيام أم قصرت عنك

الليالي .

في ليل مظلم استحوذ عليه الشيطان فأنساه ذكر الله أطلق قدميه تركض في أوحال المعصية وأوزار الكبيرة . . ألهته الأمانى وغرته نسمة الحياة وبهجة الدنيا . . وكثير من الناس اليوم مثله لو أَجَلَّتْ طرفك في المجتمع .

وفجأة على غير موعد نزل به نازل وطرقه طارق ولم يكن هذا الضيف ليزوره إلا هذه المرة فحسب ولكنها زيارة ثقيلة مؤلمة . . إنه الزائر الذي لا يُرد .

حاول أن يُؤخره أو يُؤجله بل ورجب أن يتفاهم معه ويدفع في وجهه الدواء والطبيب والأموال والأولاد ولكن انتهى كل شيء . . هوت آمال عظام وأحلام كالجبال ، ورغم كل الوسائل الدفاعية نزل بساحته أمر كان ينكر وقوعه ؛ فحشرج صدره وضافت أنفاسه وغادرت روحه ، وأمامه الأسئلة الصعاب والجنة والنار !! .

في مجتمع أسرتي لم يكن هو أول من غادر الدنيا بهذه السرعة ولم يكن هو الشاب الوحيد الذي فقدناه . . ولكن كان لحياته فجعية ولموته عبرة !! وكان يوم موته وتغسيله والصلاة عليه

ثم دفنه يوماً مشهوداً غاب عنه الكثير وكنت أولهم . . فكيف أصلي على من حرّم الله عز وجل ورسوله الصلاة عليه .
تراجعت طاعة وعبادة حتى تم كل شيء . . ولعلك تعلم أن في مجتمعي الصغير بعضاً ممن في دينه وهنّ وفي إسلامه دخنٌ ومنهم من تلبسته الشياطين فأعلن النفاق قولاً وعملاً .
وهؤلاء وأعوانهم اجتمعوا لحربي وإطلاق السهام نحوي في اجتماع عائلي شهري ملأه الأشياخ من كبار السن ومن شبابهم وصغارهم .

قال محدثي وهو يتذكر الموقف : في ذلك الجمع الكبير هبّ أحدهم شاهراً سيفه ومصوباً سهمه ورافعاً صوته باستغراب يملأه الاستهزاء وهو يُسمع الجميع : أين أنت عن صلة الرحم والقيام بالواجب؟ فهذا هو فلان مات ولم نر لك أثراً ولم نعلم لك مكاناً وهي أيام مشهودة لم يتأخر عنها القاضي والداني سوى أنت . . وأشار بأصبعه نحوي . .

اتجهت العيون يملأها العتاب، وتحركت الأيدي تلوم، واهتزت الرؤوس تؤكد حديثه وتستطلع جواباً لسؤاله : أين أنت عن واجب الصلاة والعزاء؟! وأضاف أحدهم ممن اتخذ

الاستهزاء طريقاً: تُصلي وتصوم ولا تعرف حقوق القريب
وواجبات الأسرة؟

ثم نفث حقداً أسود من قلبه وهو يقول: أنت مظهر بدون
مخبر وصورة بدون روح. تدَّعون أنكم اتخذتم الدين شعاراً
ودثاراً وأنتم لم تقيموا صلبه.

قال محدثي كأنه يزيل حيرتي واستعجالي سماع ردة فعله
ونهاية المجلس الغاضب والمحكمة السريعة:

جعلتهم يتحدثون ما شاءوا وجعلت نفسي هدفاً لسهامهم
حتى فرغت كنانة الكثير منهم. . ثم قلت للمتحدث الأول
بصوت يسمعه الجميع: ما رأيك لو صليت صلاة المغرب
أربع ركعات؟ هل يجوز لك ذلك؟ سكت ولم يجب وهو يحرك
حاجبيه ويهز يده باستغناء عجيب، ولكنني عدت وكررت
السؤال وطلبت منه الإجابة بصوت مسموع حتى يسمع
المجلس كله. . قال لي بعد تكرار السؤال عليه ثلاث مرات:
لا يجوز. .

قلت له: قد أحسنت، هذا أمر الله ورسوله فنحن نطيعه في
هذا، والله عز وجل ورسوله ﷺ أمرنا في الكتاب والسنة أن لا

نصلي على من مات وهو لا يصلي وسماه كافرًا . . رفعت صوتي وأنا أفرغ سهمًا من كنانتي . . هل أسمع كلام الله ورسوله وأطيع أمرهما أم أسمع جعجعتك وهراءك؟! استدرت نحو المجلس وأنا أقول: أمرنا أن لا نصلي على من مات وهو تارك الصلاة ولا يغسله ولا ندفنه في مقابر المسلمين . . لقد سلمت وأنبت وأطعت ونفذت، ولهذا صليت المغرب ثلاث ركعات كما يجب وتركت الصلاة على من لا يصلي كما يجب .

خيم الصمت على المجلس واستراحت النفوس وأغمدت السيوف فقد ظهر الأمر واضحًا جليًا، ولم أفرح انتصارًا لنفسي بل لما عطرت به المجلس من قول الحق .

قال محدثي: مرت شهور فإذا كثير من شباب أسرتنا وقد سمع ورأى هذا الموقف يعيد حساباته ويراجع أفعاله ويخشى أن يمر عليه يوم لا يجد فيه من يُصلي عليه . . لقد كان هلاك هذا القريب رحمة لمن بعده وعبرة لمن خلفه . . ولا يزال يتردد في جنبات المسلمين قول الله عز وجل: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا نُقَمِّ عَلَى قَبْرِهِ ﴾ . وقول المصطفى ﷺ: «العهد

الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر» .
وهكذا تمر الأيام عجلي ، وتنطوي صفحات الأيام ويبقى
للمرء ما قدم . فأطلق بصرك قليلاً لترى الأمر ، ثم مُدَّ يدك
للترحيب بالزائر القادم وأكرم وفادته فهو يقطع الأيام
والشهور سائرًا نحوك . .

القصة الثالثة

أيام العشر الأواخر من رمضان بدأت تنقضي . . والعيد قاب قوسين أو أدنى .

لا أعرف أين سندهب وأنا أنتظر صديق الطفولة . . ولكن كالعادة الجزء الأكبر من وقتنا ليلاً نقضيه في جولات بين الأسواق والتجمعات والشوارع . .

وحين استقررت على مقعد السيارة بجوار عبدالرحمن سألني . . هل جهزت ثوبًا جديدًا؟! . . لقد أقبل العيد!!

قلت له : لا!! قال : ما رأيك نذهب للخياط الآن . . وأنا أهز رأسي متعجبًا سألته . . بقي ثلاثة أيام أو أربعة على العيد . . أين نجد الخياط الذي يسبق العيد ويختصر الأيام؟! لم يعجبه حديثي واستغرابي . .

سابق الزمن بسيارته حتى توقفت أمام الخياط بصوت قوي يوحي بالعجلة والتسرع!!

فاجأني صاحبي بالسلام الحار على الخياط فهو يعرفه منذ
 زمن وقال له : نريد أن نفرح بالعيد . . ونبلس الجديد!!
 ضحك الرجل وأجاب وهو يربت على كتفه!! كم بقي على
 العيد . . لماذا لم تأت مبكراً؟!

أجاب عبدالرحمن وهو يهز يده بحركة لها معنى : سنزيد
 لك في الأجرة . . المهم أن ينتهي بعد غد!!
 وأعاد الموعد مرة أخرى . . بعد غد!!

وأنا أرقب المفاوضات الشاقة إذا بصاحبي يدفع جزءاً من
 الثمن وهو يردد . . ويؤكد بعد غد . . لا تنس الموعد . .

* حتى قبيل الفجر . . ونحن لاهون . . ساهون . .
 غافلون . . مضت الليلة كاملة لم نذكر الله - عز وجل - فيها
 ولا مرة واحدة . . ربما أنها ليلة القدر .

حياة لا طعم فيها . . وسعادة لا مذاق لها .
 ولجنا من المعاصي كل باب . . وهتكنا منها كل حجاب . .
 وحسبنا الأمر دون حساب . . إظهار للسرور والسعادة . .
 وضحكات تملأ المكان . . ولكن في القلب هم وغم . .
 والنفس تخلق بها حسرات ويحيطها نكد . .

افترقنا قبيل الفجر . . يجمعنا الليل والسهر والعبث . . نلتقي
على المعاصي وتجمعنا الذنوب . . نوم طويل . . يمتد من
الفجر حتى العصر . . صيام بلا صلاة . . وصلاة بلا قلب . .
ساعة الصيام التي أستيقظ فيها قبل المغرب كأنها أيام . .
أقطعها بالمكالمات الهاتفية العابثة . . وبقراءة الصحف
والمجلات .

وأنا أنتظر موعد أذان المغرب حادثني بالهاتف أحد
الأصدقاء . . وصوته متغير وقال . . أما علمت أن عبدالرحمن
مريض؟! .

قلت: لا . . مساء البارحة كان بصحة وعافية . .

قال: إنه مريض .

انتهت المكالمة . . والأمر لا يعني لي شيئاً . . سوى معلومة
غير صحيحة . . والمؤذن يرفع أذان العشاء . . فإذا بالهاتف
يناديني . . إنه الشقيق الأكبر لعبدالرحمن . . قلت في نفسي:
ماذا يريد؟! هل سيؤنّبني على ما أفعله أنا وعبدالرحمن؟! أو
أن أحداً أخبره بزلة من زلاتنا أو سقطة من سقطاتنا . .

ولكن أتى صوته منهكاً مجهداً . . وعبراته تقطع

الحديث .. وأخبرني بالخبر .. مات عبدالرحمن ..
 بهتُّ .. ولم أصدق .. لا أزال أراه أمامي .. وصوته يرن
 في أذني!!
 سألته : كيف مات!؟

وهو عائد إلى المنزل ارتطم بسيارة أخرى قادمة ثم حمل إلى
 المستشفى .. ولكنه فارق الحياة ظهر هذا اليوم .
 أذني لا تصدق ما تسمع .. لا أزال أراه أمامي .. نعم
 أمامي .. بل اليوم موعدنا لنذهب إلى السوق الفلاني .. بل
 وغداً موعد ثياب العيد ..
 ولكنه أيقظني من غفوتي وهز جوانحي وأزال غشاوة على
 عيني عندما قال .. سنصلي عليه الظهر غداً .. أخبر
 زملاءك .. انتهى الحديث ..

تأكدت أن الأمر جدُّ لا هزل فيه .. وصدق لا كذب
 معه .. وأن أيام عبدالرحمن انقضت .. آمنت بأن الأمر
 حق .. وأن الموت حق .. وأن غداً موعدنا هناك في المقبرة لا
 عند الخياط!! لقد ألبس الكفن وترك ثوب العيد .. تسمرت
 في مكاني .. وأصبت بتشتت في ذهني .. وبدوار في رأسي ..

قررت أن أذهب إلى منزل عبدالرحمن لأستطلع الأمر..
وأستوضح الفاجعة.. فلا يزال الشك يراودني!!

عندما ركبت سيارتي فإذا شريط غناء في جهاز التسجيل..
أخرجته.. فانبعث صوت إمام الحرم من المذياع يعطر المكان
بخشوعه وحلاوته.. أنصتُ بكل جوارحي.. وأرهفت
سمعي كأن الدنيا انقلبت.. والقيامة قامت.. والناس
تغيرت.. أوقفت سيارتي جانباً أستمع.. وأستمع.. وكأني
أول مرة أسمع القرآن.. وعندما بدأ دعاء القنوت.. كانت
دمعتي أسرع من صوت الإمام.. رفعت يدي تستقبل تلك
الدموع.. وقلبي يردد صدى تلك العبرات.. وبارقة أمل
خلف تلك الضلوع..

أعلنت توبة صادقة.. بدأتها بصحبة طيبة ورفقة
صالحة..

من كرهتهم.. هم أحب الناس إليّ.. من تطاولت
عليهم.. هم أرفع الناس في عيني.. من استهزأت بهم..
هم أكرم الناس عندي.. كنت على شفا جرفٍ هارٍ.. ولكن
الله رحمني.

* بعد شهرين فاجأت الخياط وسألته عن ثوبي . . سأل عن
 عبدالرحمن . . قلت له : مات . . أعاد الاسم مرة أخرى . .
 قلت له : مات . . بدأ يصف لي الرجل وسيارته وحديثه . .
 قلت : نعم هو . . لقد مات . . وعندما أراني ثوبه بدأت
 أسترجع الذاكرة . . هل حقًا مات؟! ثوبي بجوار ثوبه . .
 ومقعدي في السيارة بجوار مقعده . . ولكن بقي لي أجل .
 وعمر . . لعلي أستدرك ما فات . .

بعد فترة من الزمن . . هدأت نفسي . . أطلت سعادة لا
 أعرفها . . انشراح في القلب وعلى عيني سكينه ووقار . .
 حمدت الله على التوبة والرجوع والأوبة ولكن . . بقي أخ لي
 هناك . . لا يزال على عينيه غشاوة ويعلو قلبه ران المعصية . .
 هل أتركه؟! . . شمّرت عن ساعدي . . لن أتركه . .

أمامه نارٌ وعذاب . . وأهوال وصعاب . .

لن أتركه . . وقد هداني الله . .

هنا كتابٌ . . وهناك شريط . .

وبيني وبينه نصيحة صادقة .

همسة صادقة

أخي الحبيب :

أنت تعرف نفسك، ولكن دعني أعرفك بقيمة نفسك على لسان رسول الله ﷺ:

* عن عبدالله بن عمرو قال: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول: «ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك. والذي نفس محمد بيده! لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك. ماله ودمه، وأن نظن به إلا خيراً» رواه ابن ماجه.

* عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم» (صحيح الترغيب والترهيب).

أخي المسلم: لك مكانة عظيمة رفيعة إذا أطعت وامتثلت وصدقت وآمنت. فالسعادة في الدنيا والجنة في الآخرة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

الحرب القذرة

أخي الحبيب:

أنت نور الفجر المنبثق من ظلام الليالي السوداء ولذا سعى الأعداء جميعاً إلى وأد هذا النور وحجبه بشتى الوسائل والسبل . . ألقى نظرة على حرب المخدرات الموجهة للأمة . . لترى كيف هي حربٌ شرسة لا هوادة فيها . . فهل ترضى لنفسك أو لأخيك أو لابنك هذا السقوط!! تأمل: بلغت كمية المضبوطات من قبل أجهزة مكافحة المخدرات في الدول العربية في عام واحد ما يلي:

٢٠٨ أطنان من الحشيش و٢,١ طن أفيون و٥,١ طن هيروين و٧٠٤ كيلوغرام كوكايين و٣٢ مليون حبة كبتاجون^(١) . . .

وقد عبر الحدود أرقام مهولة لا يعلمها إلا الله . .

(١) جريدة الرياض العدد (١٠٥٨٦) في ٣/٢/١٤١٨هـ.

قصص التائبين

* ذُكر أن الفضيل بن عياض كان شاطرًا في قطع الطريق . وكان يتعشق جارية ، فبينما هو ذات ليلة يتسور عليها جدارًا ، إذ سمع قارئًا يقرأ : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ ، فقال : بلى ، فتاب ، وأقنع عما كان عليه ، ورجع إلى خربة ، فبات بها ، فسمع سفارًا يقول : خذوا حذرکم ؛ أن فضيلًا أمامکم يقطع الطريق ، فأمنهم واستمر على توبته ، حتى كان منه ما كان من السيادة والعبادة والزهادة ، ثم صار علمًا يقتدى به ، ويهتدى بكلامه وفعاله .

* قال إبراهيم بن بشار : قلت لإبراهيم بن أدهم : كيف كان بدء أمرک؟ قال : غير ذا أولى بک ، قال : قلت : أخبرني لعل الله أن ينفعنا به يومًا ، قال : كان أبي من الملوك المياسير ، وحبب إلينا الصيد ، فركبت يومًا ، فثار أرنبٌ أو ثعلب ، فحركت فرسي ، فسمعت نداءً من ورائي ، ليس لذا خلقت ،

ولا بدا أمرت، فوقفت أنظر يمينة ويسرة، فلم أر أحدًا، فقلت: لعن الله إبليس، ثم حركت فرسي، فأسمع نداءً أجهر من ذلك: يا إبراهيم ليس لذا خلقت، ولا بدا أمرت، فوقفت أنظر فلا أرى أحدًا، فقلت: لعن الله إبليس، فأسمع نداءً من قربوس (حنو الفرس) سرجي بذاك، فقلت: أنبهت، أنبهت، جاءني نذير، والله لا عصيت الله بعد يومي ما عصمني الله، فرجعت إلى أهلي، فخليت فرسي، ثم جئت إلى رعاة لأبي، فأخذت جبة كساء، وألقيت ثيابي إليه، ثم أقبلت إلى العراق، فعملت بها أيامًا، فلم يصف لي منها الحلال، فقيل لي: عليك بالشام.

* قال مالك بن دينار رحمه الله: رأيت في البادية في يوم شديد البرد شابًا عليه ثوبان خلقان، وعليه آثار الدعاء وأنوار الإجابة، فعرفته، وكنت قبل ذلك عهدته في البصرة: ذا ثروة، وحسن حال، وكان ذامالٍ وآمالٍ.

قال: فبكيت لما رأيته على تلك الحال، فلما رأيته بكى وبدأني بالسلام، وقال لي: يا مالك بن دينار، ما تقول في عبد أبق من مولاه؟ فبكيت لقوله بكاءً شديدًا، وقلت له: وهل

يستطيع المسكين ذلك؟ البلاد بلاده، والعباد عباده، فأين يهرب؟ فقال: يا مالك، سمعتُ قارئاً يقرأ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (١٨)، فأحسست في الحال بنار وقعت بين ضلوعي، فلا تحمد، ولا تهدأ من ذلك اليوم. يا مالك، أتراني أرحم وتطفأ هذه الجمرة من قلبي؟

فقلت له: أحسن الظن بمولائك، فإنه غفور رحيم، ثم قلت له: إلى أين؟ قال: إلى مكة شرفها الله تعالى لعلي ممن أكون إذا التجأ إلى الحرم استحق مراعاة الذمم.

قال مالك: ففارقني ومضى، فتعجبت من وقوع الموعظة منه موقعها، وما تأجج بين جنبيه من نار التيقظ والإنابة، وما حصل عليه من صدق القبول وحسن الاستماع.

كلمات في التوبة

* قال أحمد بن عاصم الأنطاكي: هذه غنيمة باردة، أصلح ما بقي من عُمرِكَ، يغفر لك ما مضى.

* قال بعض السلف: كان داود عليه السلام بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة، فمن قضى له بالتوبة كان كما قال سعيد ابن جبير: إن العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها النار، وإن العبد ليعمل السيئة فيدخل بها الجنة، وذلك أنه يعمل الحسنة فتكون نصب عينيه ويعجب بها، ويعمل السيئة فتكون نصب عينيه فيستغفر الله ويتوب إليه منها.

* وقال مالك بن دينار: إن البدن إذا سقم لم ينجع فيه طعام، ولا شراب، ولا نوم، ولا راحة. وكذلك القلب إذا علقه حب الدنيا لم تنجع فيه الموعظة.

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الذي يضر صاحبه هو ما لم يحصل منه توبة، فأما ما حصل منه توبة، فقد

يكون صاحبه بعد التوبة أفضل منه قبل الخطيئة، كما قال بعض السلف: كان داود بعد التوبة أحسن منه حالاً قبل الخطيئة، ولو كانت التوبة من الكفر والكبائر، فإن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار هم خيار الخليقة بعد الأنبياء، وإنما صاروا كذلك بتوبتهم مما كانوا عليه من الكفر والذنوب، ولم يكن ما تقدم قبل التوبة نقصاً ولا عيباً، بل لما تابوا من ذلك عملوا الصالحات كانوا أعظم إيماناً، وأقوى عبادة وطاعة ممن جاء بعدهم، فلم يعرف الجاهلية كما عرفوها.

أخي الشاب:

ليس عيباً أن تزل قدمك فتسقط من القمة إلى الحضيض، إنما العيب أن تذهلك السقطة فتظل حيث أنت دون أن تحاول الصعود!! بل دون أن تفكر!! إلى أين المصير!!؟

خمس دقائق

أنت شابٌ فطن تتطلع إلى مستقبل مُشرق . . . فها أنت
تبحث عن المنصب والوظيفة والزوجة والمسكن . . . بل وحتى
شراء السيارة يأخذ من وقتك الكثير . . .

ولكني أتساءل: أما أن لك أن تفكر في آخرتك ولو بخمس
دقائق من عمرك لترى كيف حالك غدًا؟!!

سترحل من هذه الدنيا عاجلاً أو آجلاً . . . طالت بك الأيام
أو قصرت . . . فماذا أعددت لهذا الرحيل؟! وماذا قدمت لما
بعد الرحيل؟!!

لا شك أنك ستفكر ولو لدقائق لترى حالك بالأمس
وحالك اليوم وحالك غدًا!!!

أيها الحبيب..

آخرتك أهم من وظيفتك . . . وقبرك أهم من منزلك
والحور العين خير لك من نساء الدنيا أجمع . . . فأين ستقف بعد

هذا الحديث؟!

هل سنراك تسابق المصلين إلى الصف الأول . . أم تبقى على تخلفك حتى يتخطفك الموت على حال لا تُرضي ولا تسر؟!

لكأني أرى منك النباهة وفي عينك بعد الرؤية وصفاءها ولكن تعال لتجيب على سؤالي حبًا وكرامة لي ولك: هل خططت ورتبت نفسك للموت؟ هل استعددت له وتجهزت لحضوره؟!

* قال عبدالرحمن بن يزيد بن جابر: قلت ليزيد بن مرثد: ما لي أرى عينك لا تجف؟ قال: وما مسألتك عنه؟ قلت: عسى الله أن ينفعني به، قال: يا أخي، إن الله قد توعدني إن أنا عصيته أن يسجنني في النار، والله لو لم يتوعدني أن يسجنني إلا في الحمام لكنت حريًا أن لا تجف لي عين، فقلت له: فهكذا أنت في خلواتك؟ قال: وما مسألتك عنه، قلت: عسى الله أن ينفعني به، فقال: والله إن ذلك ليعرض لي حين أسكن إلى أهلي، فيحول بيني وبين ما أريد، وإنه ليوضع الطعام بين يدي فيعرض لي، فيحول بيني وبين أكله، حتى تبكي امرأتي

وبيكي صبياننا، ما يدرون ما أبكانا^(١).

*قال أبو عياش القطان :

كانت امرأة بالبصرة متعبدة يقال لها منيبة ، وكانت لها ابنة أشد عبادة منها ، فكان الحسن ربما رآها وتعجب من عبادتها على حدائتها .

فبينما الحسن ذات يوم جالس إذ أتاه آتٍ فقال : أما علمت أن الجارية قد نزل بها الموت؟! .

فوثب الحسن فدخل عليها فلما نظرت الجارية إليه بكت ، فقال لها : يا حبيبتى ، ما يبكيك؟ قالت له : يا أبا سعيد ، التراب يحشى على شبابي ولم أشبع من طاعة ربي ، يا أبا سعيد ، انظر إلى والدي وهي تقول لوالدي : احفر لابنتي قبراً واسعاً وكفنها بكفن حسن ، والله لو كنت أجهز إلى مكة لطال بكائي ، كيف وأنا أجهز إلى ظلمة القبور ووحشتها بيت الظلمة والدود .

(١) حلية الأولياء ١٦٤/٥ .

الأنفاس الأخيرة

أنت شاب في مقتبل العمر تتطلع إلى الدنيا وإلى أهلها من أصحاب الدور والقصور والأموال والأولاد.. وقد أخذ هذا التطلع من وقتك الكثير وربما أوردك موارد كثيرة بعضها قد لا ترضاه لنفسك ولكنها الحاجة كما تقول..

سأذهب وإياك سويًا عبر الماضي لنرى من مَلَكَ الدنيا بأسرها كيف حاله عند الموت.. لترى هوان الدنيا وذلتها وحقارتها.. سنرجع زمنًا لنقف على رؤوس عليّة القوم وهم في الأنفاس الأخيرة.. فيا ترى ماذا تعني لهم الدنيا، وماذا يرونها تلك اللحظات؟!

ولكن إياك أن تتهمني بأنني أدعوك إلى ترك العمل للدنيا وعدم السعي في أطرافها.. كلا.. ولكن اعمل للدنيا على قدر بقائك فيها وللآخرة على قدر بقائك فيها..

قال عبد الملك بن مروان في مرض موته وهو الذي حكم

الدولة الإسلامية من شرقها إلى غربها ثلاث عشرة سنة: ارفعوني، فرفعوه حتى شم الهواء، وقال: يا دنيا ما أطيبك، إن طويلك قصير، وإن كثيرك لحقير، وإنا كنا بك لفي غرور. ولما حضرت المأمون الوفاة أمر بجَلِّ دابته ففرش له فاضطجع عليه، ووضع الرماد على رأسه وجعل يقول: يا من لا يزول ملكه ارحم اليوم من قد زال ملكه.

أما الخليفة المنتصر فقد كان يضطرب على نفسه عند موته فقيل له: لا بأس عليك يا أمير المؤمنين. فقال: ليس إلا هذا، لقد ذهبت الدنيا وأقبلت الآخرة.

أخي الحبيب:

تمياً اليوم لزيارة المقبرة.. وانظر واعتبر!! وتفقد مسكنك قبل أن تنتقل إليه!!

أبشر برحمة ومغفرة

أيها الحبيب العائد:

تأمل في دعوة ربك ومليكك وهو ينادي عباده المؤمنين:
 ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(١)،
 وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا
 نَقْضُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
 الرَّحِيمُ ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿ نَبِيَّ عِبَادِيَ أَيُّ أَنَا الْغَفُورُ
 الرَّحِيمُ ﴾^(٣) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾^(٤).

وقال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس، توبوا إلى الله
 واستغفروه فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة» رواه مسلم.
 وقال ﷺ: «كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»

(١) سورة النور، الآية: ٣١.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٣) سورة الحجر، الآيتان: ٤٩، ٥٠.

رواه الترمذي .

وانظر إلى فضل الله العظيم وإحسانه الجزيل فقد قال رسول الله ﷺ: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» رواه ابن ماجه .

وقال ﷺ في حديث يفرح كل عاصٍ ويسرُّ وكل مقبل على الله : «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» رواه مسلم .

فبادر إلى التوبة النصوح واستغفر الله مما بدر وكان . . . عسى الله أن يرحمنا جميعاً .

وتأمل فضل الله عز وجل وكرمه مع عبده الضعيف المسكين . . . قال رسول الله ﷺ «إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً، فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته ، كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن

سألني أعطيته ، ولئن استعاذني لأعيذنه» رواه البخاري .

أخي الشاب:

خَلَّ الذنوب صغيرها
وكبيرها ذاك التقي
واصنع كماشٍ فوق أر
ض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقروا صغرة
إن الجبال من الحصى

أخي المسلم:

إذا ما خلوت يوماً فلا تقل
خلوت ولكن قل عليّ رقيبُ
ولا تحسبن الله يغفل ما مضى
ولا أن ما تخفي عليه يغيب
لهونا عن الأيام حتى تتابعتم
ذنوباً على آثارهن ذنوب

لا تكن من هؤلاء

قال رسول الله ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي»
قالوا: يا رسول الله! ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل
الجنة ومن عصاني فقد أبى» رواه البخاري.

فهذا الحديث بشارة لجميع المسلمين بالجنة إلا صنفاً منهم
لا يريد دخولها، لا زهداً فيها، ولكن جهلاً بالطريق الموصلة
إليها، وتراخياً وتكاسلاً عن دخولها، وتفضيلاً لهذه المتع
الدينية الزائلة على تلك النعم الخالدة في الجنة.

وإن يسّر الله لك أمر العودة والتوبة فاسجد في هجيع الليل
المظلم وأرو الأرض من دموع الشكر لله عز وجل أن هداك
دون غيرك وسهل لك هذا الطريق دون من حرموا السير
فيه!! وتأمل كم على هذه الأرض من كافر وكم يسير عليها من
تائه.. فاحمد الله أن اختصك بالتوبة وأنار لك طريق

السعادة!!

ثم بعد أن يطفح نور البشر على وجهك ويتحرك قلبك شوقاً إلى الآخرة. . ستصوّب نحوك السهام وترمى إليك كلمات الاستهزاء؟! من سفهاء الناس وضالّتهم!! هذا مطوع!! وهذا فلان اهتدى!! وكيف تركت يا فلان ذاك الطريق!! ثم إذا رأوا عزمك وثباتك بدأوا باللمز والغمز. . سيعود بعد حين وسيرجع بعد شهور. . ثم يتحول ذلك كله إلى غيبة لك وإظهار لعيوبك السابقة. . هذا كان فاسقاً. . عاصياً. . فيه وفيه. .! كلمات كثيرة ولست أفضل من رسول الله ﷺ الذي قال عنه سفهاء قريش ساحر ومجنون ورموه بالسفه واختلال العقل!! فهذا طريق معروف لا بد لك من الصبر ولا تكن ضعيفاً في دينك فلقد كنت قوياً فتياً في فسادك!! لماذا يصيبك الخور والضعف الآن؟!

وسيطلق عليك عبارات كثيرة. . فأنت متشدد!! أتعرف لماذا؟! لأنك صليت!! لأنك تركت ملاعب الفجور وأماكن الضياع!! لأنك أطلت لحيتك وقصرت ثوبك اتباعاً لسنة الرسول ﷺ!!

فكن أسدّاً وليثاً في سبيل الله فسرّ على ما سار عليه رسول

الله لا تُلقِ بالاً لأحد ولا يهتك أحد من هؤلاء ولكن عليك بالرفق معهم ودعوتهم، واحذر إطالة الجلوس معهم فإن منهم عدوى الفساد تنتشر فاحذرهم!

ولا يليق بالمؤمن أن يكون إمعة يسيء مع المسيئين ويسير حيث اتجه الآخرون، بل له وقفة وعودة.. فقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قوله: وطَّنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإذا أسأؤوا أن تتجنبوا إساءتهم.

أيها الحبيب: كثير من الشباب يكرهون الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وقد تتعجب من هذا الكره لهم؟! فهم لا يأخذون أموال الناس ولا يقفون بينهم وبين حياة سعيدة.. وليس بينهم عداً مستأصل وثأر قديم! أتعلم لماذا يكرهونهم؟! لأنهم يحولون بينهم وبين شهواتهم.. نعم لأجل هذا يكرهونهم.. ولو تركوا شهواتهم لكانوا إخواناً لهم.. وتأمل في رجل المرور.. الكل يرى عمله وجهده.. ولكن يا ترى هل يجبه من تجاوز الإشارة الحمراء وأراد أن يقتل عباد الله!؟

أبشر بخير عظيم

أخي الشاب:

وأنت تسير في طريق الحق تتلمّس مواطن الأجر ومكفرات الذنوب إليك بعضاً من ذلك، فإن المؤمن إذا فعل سيئة فإن عقوبتها تندفع بعشرة أسباب:

أحدها: أن يتوب توبةً نصوحاً ليتوب الله عليه، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

الثاني: أن يستغفر الله فيغفر الله تعالى له.

الثالث: أن يعمل حسنات تمحوها لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيئَاتِ﴾^(١).

الرابع: أن يدعو له إخوانه المؤمنون ويشفعوا له حياً وميتاً.

الخامس: أن يهدي له إخوانه المؤمنون من ثواب أعمالهم ما ينفعه الله به.

(١) سورة هود، الآية: ١١٤.

السادس: أن يشفع فيه نبينا محمد ﷺ.

السابع: أن يبتليه الله في الدنيا بمصائب في نفسه وماله وأولاده وأقاربه ومن يجب ونحو ذلك.

الثامن: أن يبتليه في البرزخ بالفتنة والضغطة، وهي عصرة القبر، فيكفر بها عنه.

التاسع: أن يبتليه الله في عرصات القيامة من أهوالها بما يكفر عنه.

العاشر: أن يرحمه أرحم الراحمين.

فمن أخطأته هذه العشرة، فلا يلومن إلا نفسه، كما قال تعالى في الأحاديث الإلهية: «إنما هي أعمالكم، أحصيتها لكم (ثم أوفيكم إياها) فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»^(١).

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله عند تفسير سورة يوسف وما فعل به إخوته وكيف تسلسلت المعصية إلى معاصي أخرى متتابعة:

(١) تسلية أهل المصائب، ص ٢١٨.

ومنها: الحذر من شؤم الذنوب، فكم من ذنب واحد استتبع ذنوبًا كثيرة وتسلسل الشر المؤسس على الذنب الأول، وانظر إلى جرم إخوة يوسف، فإنهم لما رأوا التفريق بينه وبين أبيه الذي هو من أعظم الجرائم، احتالوا على ذلك بعدة حيل، وكذبوا عدة مرات، وزوروا على أبيهم في القميص والدم الذي فيه، وفي صفة حالهم حين أتوا عشاء يبكون؛ ولا بد أن الكلام في هذه القضية تسلسل وتشعب، بل ربما أنه اتصل إلى الاجتماع بيوسف، وكل ما بحث في هذا الموضوع فهو بحث كذب وزور مع استمرار أثر المصيبة على يعقوب، بل وعلى يوسف، فليحذر العبد من الذنوب، خصوصًا الذنوب المتسلسلة، وضد ذلك بعض الطاعات تكون طاعة واحدة، ولكن يتسلسل نفعها وبركتها حتى يستتبع طاعات من الفاعل وغيره، وهذا من أعظم آثار بركة الله للعبد في علمه وعمله^(١).

(١) المجموعة السعدية ٤١١/٨.

أين أنت؟!

أيها الشاب:

أين أنت من أولئك الأخيار . . صفوة الأمة الذين قاموا لهذا الدين وسعوا إلى رفع رايته بالدم والمال ومفارقة الأوطان؟! .

أين أنت من جعفر بن أبي طالب الذي استشهد في معركة مؤتة، بل أين أنت من مصعب بن عمير الذي استشهد في غزوة أحد، وتأمل أين قبور الصحابة والتابعين وكيف قضوا نحبهم بعيدين عن أوطانهم وأبنائهم وزوجاتهم وأموالهم؟! .

ماذا قدمت لهذا الدين وأنت ابنه الذي نشأت عليه وترعرعت في كنفه؟! .

أيها الشاب:

قبل أن تسأل نفسك أين ذهبت أيامك وأين تقضي شبابك . . إليك روائع حفظها لنا التاريخ عن شباب

الإسلام في وقتهم .

إنها أمثلة حية للنبوغ المبكر والاشتغال بالعلم منذ الصغر . . فهذا الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه الذي قال عنه رسول الله ﷺ : «أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل» وقد شبهه عبدالله بن مسعود بإبراهيم الخليل في تعليمه الخير للناس وفي طاعته وإنابته لربه فقال : إن معاذًا كان أمةً قانتًا لله حنيفًا . . ولقد مات معاذ هذا وعمره ثنتان وثلاثون سنة فقط !!

والإمام الشافعي حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، وحفظ الموطأ وهو ابن عشر سنين !!

والإمام البخاري صحح إسناد حديث رسول الله ﷺ وهو ابن أحد عشر عامًا !!

أما الإمام ابن الجوزي فيقول محدثًا عن نفسه : كتبت بأصبعي ألفي مجلد ، وتاب على يدي مائة ألف ، وأسلم على يدي عشرون ألفًا !!

وقد رحل الإمام محمد بن إسحق بن منده لطلب العلم وعمره عشرون سنة ، ورجع إلى بلده وعمره خمسة وستون

عامًا، وكانت مدة رحلته خمسة وأربعين عامًا، فلما رجع إلى بلده تزوج وهو ابن خمسة وستين عامًا!!

أما أبو حاتم الرازي فقد كان يرتحل في طلب أحاديث الرسول ﷺ ماشيًا على أقدامه وقال: مشيت على قدمي ألف فرسخ (٥٠٠٠ كم) ثم تركت العدد!!

وقال سعيد بن المسيب رحمه الله: كنت أرحل الأيام والليالي في طلب حديث واحد!!

وإن أطلت عليك بذكر السير العطرة لأولئك فإني أبقيت الكثير. . ولعلك تتأمل في همة وصبر حجاج ابن الشاعر الذي قال: جمعت لي أمي مائة رغيف فجعلتها في جراب، وانحدرت إلى شبابة بالمدائن، فأقمت بشبابة مائة يوم، أغمس الرغيف في دجلة وآكله، فلما نفذت خرجت!!

نعم وقف بباب العلم ولم يقف بباب المحبوبة أو الملعب!! وقد أقام أبو طاهر في الأسكندرية في عام ٥١١ هـ إلى عام ٥٧٦ هـ لطلب العلم وكان يقول عن نفسه: لي ستون سنة ما رأيت منارة الأسكندرية إلا من الطاقة. وكانت هذه المنارة من عجائب الدنيا ولكنها لم تلهه عن طلب العلم!!

أما العالم يحيى بن يحيى الليثي فقد ذكر أنه كان تلميذاً عند إمام دار الهجرة مالك بن أنس في مسجد رسول الله ﷺ، فجاء فيل عظيم بجانب المسجد، فخرج الطلاب لرؤيته ولم يبق إلا يحيى بن يحيى الليثي، فقال له الإمام مالك: لم لم تخرج لترى الفيل وهو لا يكون ببلادك؟ فقال يحيى: جئت من الأندلس لأراك لا لأرى الفيل، إنما رحلت لأتعلم من علمك وهديك!!^(١)

أيها الحبيب:

إنه سير إلى الله عبادة وطاعة. . فإن استطعت ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل!! ووالله الذي لا إله غيره ما خلقت للهو واللعب ولا لإضاعة الأوقات خلف شاشة أو على مدرج كرة!! فالأمر أعظم من ذلك ولكن متى تهب من غفلتك وتستيقظ من رقدتك! إن عمرك يجري وصيدك في هذه الحياة ينقضي وأنت لاهٍ ساهٍ!!
أما أولئك الأخيار فقد فطنوا لماذا خلقوا. . وشمروا. . .

(١) للاستزادة انظر إن أردت كتابي «ورثة الأنبياء».

وعلموا أن الدقائق والأنفاس هي رحلة العمر، وهي من أنفوس الموجود لديهم . . فهبوا إلى استثمار الدقائق واللحظات معرفة بالوقت وأهميته .

أما من جهل قيمة الوقت الآن فسيأتي عليه حينٌ يعرف فيه قدره ونفاسته وقيمة العمل فيه، ولكن بعد فوات الأوان، وفي هذا يذكر القرآن موقفين للإنسان يندم فيهما على ضياع وقته حيث لا ينفع الندم .

الموقف الأول: ساعة الاحتضار، حيث يستدبر الإنسان الدنيا ويستقبل الآخرة، ويتمنى لو منح مهلة من الزمن، وأُخر إلى أجل قريب ليصلح ما أفسده ويتدارك ما فات .

الموقف الثاني: في الآخرة، حيث تُوفى كل نفس ما عملت وتُجزى بما كسبت، ويدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، هناك يتمنى أهل النار لو يعودون مرة أخرى إلى حياة التكليف، لبدءوا من جديد عملاً صالحاً .

هيئات هيئات لما يطلبون فقد انتهى زمن العمل وجاء زمن الجزاء .

ونلاحظ في زماننا هذا الجهل بقيمة الوقت والتفريط فيه . .

فلا تكن ممن ذهبت أيامه سُدىً وأضاع عمره فرطاً . . فإن
سنواتٍ مرّت من عمرك كالحلم . . بل كسحاب يدفعه
الريح . . لحظات ثم تختفي . . ها هي سنوات عمرك الماضية
انتهت أسرع مما تتخيل . . كأنها طرفة عين!!

واعلم أن الإحصاء دقيق وأن المُحاسب بصير ﴿ فَمَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴿ فكيف بك أيها الشاب إذا نشرت لك تلك
الصحف الماضية؟ وكيف بك إذا مررت على الصراط ودقته
والحساب وشدته؟!

سبحان الله العظيم

- * تعمل الكلى عمل المرشحات لإزالة المواد الضارة من الدم، حيث تقوم بتنظيف ١٧٠٩٩ لتر من الدم يوميًا على وجه التقريب!!
- * معدل التنفس الطبيعي للإنسان بين ١٦ إلى ١٨ نفساً في الدقيقة الواحدة!! وفي الساعة ٩٦٠ إلى ١٠٨٠ وفي اليوم الواحد من ٢٣٠٤٠ إلى ٢٥٩٢٠!!
- * سرعة الضوء ٢٩٩,٧٩٢,٠٥ كيلومترات في الثانية الواحدة!! ويصلنا ضوء القمر خلال ثانية واحدة فقط. أما ضوء الشمس فيحتاج لثمانين ثوانٍ حتى يصلنا!! فيما يصلنا ضوء أقرب نجم في أربع سنوات وثلاثة أشهر!!
- * قلب الإنسان العادي ينبض بين ٦٠ و ٨٠ نبضة في الدقيقة الواحدة أي ما يعادل ٤٠ مليون نبضة كل عام، وفي كل نبضة يضخ القلب ١٠٠ سم^٣ في الدم ويبلغ ما يضخه

خلال اليوم الواحد ١٥٠٦٧ لترًا مكعبًا.

- * في العالم اليوم ٢٦٧٩٦ لغة، أشهرها: ٤٨ لغة منتشرة في أوروبا و١٥٣ لغة في آسيا، و١٨ لغة في أفريقيا، و٤٢٤ لغة في الأمريكتين و١٧ لغة في جزر المحيطات!!
- * طول أمعاء الإنسان يتراوح بين ٨,٥ إلى ٩ أمتار.
- * أعلى درجة حرارة توصل الإنسان لإنتاجها تتراوح بين ٣٠٠ إلى ٤٠٠ مليون درجة، وهي الحرارة الناشئة عن انفجار قنبلة ذرية!!
- * عضلة القلب تزن نحو ثلاثمائة وخمسمائة وعشرين جراماً، وتعمل على ضخ الدم عبر مائة ألف كيلو متراً في الأوعية الدموية يومياً.
- * يوجد تحت سطح الجلد بين خمسة إلى خمسة عشر مليون مكيف لحرارة البدن.
- * يستهلك الجسم من خلاياه نحو مائة وخمسة وعشرين مليون خلية في الثانية الواحدة، ويتشكل العدد نفسه في الثانية الواحدة.

خير الزاد

وأنت تسير في هذه الدنيا تلامس سمعك كل يوم كلماتٍ متكررة... المستقبل... الرزق... تكوين النفس... العمل... وهكذا كلمات مادية تنظر فيها بعين بائسة إلى المستقبل!! والمستقبل كما تعلم بيد الله عز وجل والأرزاق بيد الله عز وجل، فلماذا أضعت هذا الأمر وفرطت في هذا اليقين؟.

تكذ وتتعب وتبذل وتجد وتجتهد لتحصيل أمر مادي بحت ولسنوات قليلة جدًا هي مسافة عمرك القصير على وجه الأرض... نعم كل هذا الاهتمام والحرص والمثابرة لعشرين أو خمسين أو ثمانين سنة ولا تزيد عن ذلك في الغالب. ولكن أين أنت عن حياة أبدية؛ اليوم فيها عن ألف سنة من حساباتنا ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (٤٧) (١).

فماذا عملت لهذه الدار الأبدية التي ستنتقل إليها قريباً
 شئت أم أبيت رغبت أم عصيت؟! فتزود لها فإن بها منزلتين
 فقط إما جنة أو نار. . فافرح بهذه الجنة وشمّر لها وابتعد عن
 هذه النار وتجنّب حرها. . وتزود للآخرة كما تتزود لسفر من
 أسفار الدنيا وعليك بخير الزاد ﴿وَتَكَزَّوْدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ
 التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ (١).

واحذر أيها الحبيب من نار يقال لها لظى ﴿نَزَاعَةَ
 لِلشَّوَى﴾ (٢). . واحذر أن تكون ممن ينادون وهم في النار
 ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ (٣). . بل جد
 وكن ذا بصيرة، وسابق إلى جنة عرضها السماوات والأرض
 فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب
 بشر. . جعلك الله من أهلها وبوأك أعلى منازلها.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٢) سورة المعارج، الآية: ١٦.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٧.

احذر

أيها الحبيب:

قد ترى أن كثرة الضحك فيها أنس لخاطرک وسرور
لجلسائك . . ولكن إياک والمزلق فربما أطلقت لسانک فزقاً
بک . .

تأمل في بعض من حولک وكثرة استهزائه باللحیة والثوب
القصير بل وطلبة العلم ورجال الهيئة ، ثم تعقب تلك النکات
ضحکات طويلة وتعليقات متتابعة . .

أربأ بک وأنت ابن الإسلام أن تعود إلى الکفر وترتد عن
دينک عن جهل أو مسایرة للجلساء . . إن ما تراه سهلاً یسع
المجالس ویطير مع الهواء . . ربما یهوي بک في النار سبعین
خريفاً . . قال شیخ الإسلام ابن تیمیة قدس الله روحه : إن
الاستهزاء بالله وآياته ورسله کفر یکفر صاحبه بعد إيمانه^(١) .

(١) مجموع الفتاوى ٧/٢٧٣ .

وقال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز حفظه الله: من يقول: حلق اللحية وتقصير الثوب قشور. هذا الكلام خطير وليس في الدين قشور، بل كله لب وإصلاح وينقسم إلى أصول وفروع، ومسألة اللحية من الفروع لكن لا يجوز أن يسمى شيء من أمور الدين قشوراً. ويخشى على من قال هذا الكلام مستهزئاً أن يرتد بذلك عن دينه.

ولعلك أيها الشاب سمعت قصة رجل من المنافقين في غزوة تبوك حيث قال: ما أرى قراءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطوننا، وأكذبنا السنة، وأجبنا عند اللقاء، فرفع ذلك إلى رسول الله ﷺ، فجاء المنافق إلى رسول الله ﷺ - وقد ارتحل وركب ناقته فقال: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، فقال رسول الله ﷺ: ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٦٥) لَا تَعْتَدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿(١)

ولعلك أيها الأخ لحظت في الآية الكريمة أن الله شهد لهم بالإيمان قبل الاستهزاء فقال تعالى: ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٦٥، ٦٦.

إِيْمَانِكُمْ ﴿١٠٧﴾ ولكن هذا لم يشفع لهم .

* في جواب اللجنة الدائمة للإفتاء على من قال لآخر : «يا لحية» مستهزئاً: أن الاستهزاء بالحية منكر عظيم، فإن قصد القائل بقوله «يا لحية» السخرية فذلك كفر، وإن قصد التعريف فليس بكفر، ولا ينبغي أن يدعوه بذلك .

وقال سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم : ومن الناس ديدنه تتبع أهل العلم لقيهم أو لم يلقيهم مثل قوله : المطاوعة كذا وكذا . فهذا يخشى أن يكون مرتدًا .

لا يغفل شاب مسلم ما نزل بشباب الأمة من أمور تغضب الله عز وجل وتجلب سخطه وعقابه ومن أوضح تلك الذنوب . . الزنا . . زنا العين وزنا الفرج . . وزنا العين هو الخطوة الأولى لزنا الفرج .

وقد علق سبحانه فلاح العبد على حفظ فرجه من الزنا فلا سبيل إلى الفلاح بدونه قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ﴾ وذكر منهم : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ أَبْتَغَىٰ

وَرَأَىٰ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ (١).

وقد ذم الله عز وجل هذه الفعلة الشنيعة وقرنها بالشرك والقتل قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ (٢).

وقد نهى الله عز وجل عن الزنا ومقدماته فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٣).

فنهى عن الزنا ودواعيه والقرب لما يكون سبباً في ذلك من النظرة والكلمة والخلوة وغيرها وأمر بحفظ البصر فقال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَرَبَّ أَرْكَانِهِمْ﴾ (٤).

وأحذرك بقول النبي ﷺ: «لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خيرٌ له أن يمس امرأة لا تحل له» (٥).

(١) سور المؤمنون، الآيات: ٥ - ٧.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٨.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٣٢.

(٤) سورة النور، الآية: ٣١.

(٥) رواه الطبراني.

وإن كنت ترى أنك استطعت أن تغرر بالمرأة المسلمة وأن
 هذا من مقدرتك ومهارتك . . فاعلم أن لك أخوات ووالدة
 وزوجة وبنات . واعلم إذا كنت ذئباً فإن هناك ذئاب ولك
 محارم فاتق الله في نفسك وأهلك .
 واحذر أن تعرض محارمك للوقوع في الفاحشة فكما تدين
 تدان .

من يزني يُزنى به ولو بجدره
 إن كنت يا هذا لبيياً فافهم
 من يزني بألفي درهم
 يُزنى به بغير الدرهم

هذه هي أولوياتنا

أيها الحبيب:

وأنت تستقبل فجرًا جديدًا في حياتك . . فجر تبدأ معه رحلة العودة إلى الله عز وجل بقلب منكسر ودمع منسكب . . إليك حديث الرسول ﷺ وهو بشارة لنا جميعًا: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها».

فاحمد الله عز وجل أن فتح باب التوبة وجعل التوابين من أهل محبته ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (١)، وأبشرك بحديث الرسول ﷺ: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» رواه ابن ماجه والطبراني.

والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة لا تحفى عليك ولكني

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

أوردت طرفاً منها لتهناً نفسك ويطمئن قلبك بهذا الفضل العظيم.

وإني موصيكَ ونفسي بأمر لا تغيب عن بالك ولكنها من باب التذكير والتواصي بالحق:

أولاً: توحيد الله عز وجل وإفراده بالعبادة. وإن لم يكن عندنا في هذه البلاد والله الحمد قبور وأولياء فإن هناك أموراً خطيرة عدها العلماء من نواقض الإسلام وعليك بها واحدة تلو الأخرى واحذر منها. وسأذكر لك ستة من عشرة نواقض ذكرها الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

١ - من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر.

٢ - من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ فقد كفر، لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾ (١).

٣ - من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه، كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَعَآئِنِهِ وَرَسُولِهِ

كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْزِرُوا فَمَا كَفَرْتُمْ بَعْدَ
إِيمَانِكُمْ ﴿١﴾ .

٤ - السحر ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعْلِمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَقًّا يَقُولَانِ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ ﴿٢﴾ .

٥ - مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٥١﴾ ﴿٣﴾ .

٦ - الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿٤﴾ .

ثانياً: المحافظة على الصلاة مع الجماعة في المسجد وكذلك

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٦٥، ٦٦ .

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٢ .

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥١ .

(٤) سورة السجدة، الآية: ٢٢ .

المحافظة على السنن الراجعة قبل الصلاة وبعدها . ولا تتهاون في أداء الصلاة مع الجماعة أبداً ، وتذكر أيام غفلتك ومحافظتك على أمور تافهة وكيف كنت تحرص على أوقاتها وتحضر قبل الموعد بساعات!! وتأمل في فضل واحد من فضل المحافظة على صلاة الجماعة ، قال رسول الله ﷺ : «من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله فلا يطلبنكم الله بشيء من ذمته فإنه من يطلبه بشيء من ذمته يدركه ثم يكبه في النار على وجهه»^(١) . وقد ذكر لي أحد الدعاة أنه سأل نزلاء سجنين من السجون الكبيرة هل منكم من أحد صلى الفجر في جماعة يوم أن وقعت جريمته؟ فأجابوا : لم نصل الفجر ذلك اليوم!!

ثالثاً : عليك ببر والديك وليروا منك خيراً فإن من أسعد لحظات الوالدين أن يروا ابنهم اتجه إلى الخير ويسأل عن الأذان . . وبدا حديثه حديثاً مباركاً . . فهو يتحدث عن جماعة المسجد وعن علاقته بالأخيار والصالحين . وهذا أمر مهم فإنهم سوف يعينونك ودعهم يأخذون عن الملتزمين صورة

(١) رواه مسلم .

طيبة في برهم وتفقد حاجاتهم . . واعلم أن لك في ذلك أجراً عظيماً وفضلاً كثيراً فلقد قرن الله عز وجل عبادته ببر الوالدين ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَنَّا﴾^(١).

تأمل أيها الحبيب المبارك . . لو أقعدك المرض وأصبحت طريح الفراش . . عندها يتبين لك أصحاب المحبة الصادقة وهم والداك؟! من يذهب بك للمستشفى ومن ينتقل بك من عيادة إلى أخرى؟! ومن يسهر الليالي بجوارك . . بل ها هو والدك يأخذ إجازة من عمله ويقترض مالاً ليسافر بك للعلاج!!

هل رفيقك يقوم بمثل هذا العمل؟! لقد أثبتت الأيام صدق محبتهم لك وعطفهم عليك . . فأرهم الآن منك خيراً وأنزلهم منزلة تسبق الصاحب والرفيق فهم والله أحق بكل خير من جميع الناس .

رابعاً: كما أنك تخلع قميصك وثوبك المتسخ وتناول الثوب الجديد، لا بد أن تجالس الأخيار وتترك رفقاء السوء

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٣ .

فإنهم لن يتركوك بهذه السهولة ولكن احرص على مقاطعتهم وابدأ في البحث عن صحبة طيبة تعينك على الطاعة وتذكرك على منابت الخير، وستجدهم إن شاء الله في المسجد وفي المحاضرة على وجوههم البشر ويطفح نور الإيمان على جباههم! وفرّ من المعاصي والذنوب فرارك من الأسد ﴿فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾^(١) إن فرارك أيها الحبيب من المعصية ومواطن الزلل . . فرار الخائف من الذنوب والآثام إلى المسكن المطمئن الآمن حيث جنات عدن .

ولسوف يأتيك الشيطان ويلقي في قلبك كلمات . . وماذا يفعل معك رفقاء السوء . . أنت رجل لك شخصية وفكر؟! فماذا يؤثر فيك أولئك؟! هذه هي الخطوة الأولى نحو الانتكاسة وعدم التوبة وليس البعد عن رفقاء السوء مختص بصغار السن كما نتوهم . . هاك رجلاً من كبراء قريش وقادتها أرداد رفيقه في المهالك وحرمه من دخول الجنة . . لما حضرت أبا طالب الوفاة جاء رسول الله ﷺ وعنده أبو

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٠.

جهل وعبدالله بن أبي أمية فقال: «يا عم: قل لا إله إلا الله، كلمة أحاجُّ لك بها عند الله» فقالا له: ترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فأعاد عليه رسول الله ﷺ، فأعادوا، فكان آخر ما كلمهم به هو: على ملة عبدالمطلب. وأبى أن يقول لا إله إلا الله. ومات على الكفر.

وأصدق وصف للرفقاء ما ذكره الرسول ﷺ بقوله: «إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء، كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يُحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً منتنة»^(١).

خامساً: الوقت هو حياتك، ولكأني بك نادى الآن على ما مضى من عمرك لعلمك أنه لن يعود، فبادر بالاستفادة من الأوقات ودع عنك الملهيات التي لا تفيدك بل تحصد وقتك حصداً مثل مشاهدة المباريات وغيرها. واعلم أنه إذا حضرك الموت لن تستطيع أن تؤخر ملك الموت ولو دقيقة واحدة بمال

(١) متفق عليه.

الدنيا أجمع .

سادسًا: سارع إلى الزواج بالمرأة الصالحة العابدة التقية، النقية وامسك حديث الرسول ﷺ وَعَضَّ عَلَيْهِ بالنواجذ: «عليك بذات الدين تربت يداك» .

سابعًا: شدَّ الرحال إلى طلب العلم الشرعي والتزود منه وسارع إلى حضور الدروس والمحاضرات وشراء الكتب والأشرطة النافعة، وضع جدولاً طويلاً لحفظ القرآن، واجعل لذلك وقتاً معلوماً إما بعد صلاة الفجر أو بعد صلاة العصر أو حسب ما تراه، وراجع ما حفظته في سيارتك واسمع قراءة الأئمة المجودين المرتلين لكتاب الله .

ثامنًا: ملازمة الدعاء وتحري أوقات الإجابة: فقد كان رسول الله ﷺ يدعو وهو نبي هذه الأمة وقد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . . . وتذلل بين يدي الله عز وجل أن يغفر لك زللك وتقصيرك وأن يثبتك على دينه حتى تلقاه . . .

وكن خائفًا وجلًا من ذنوبك . . . قال ابن عون: لا تثق بكثرة العمل فإنك لا تدري أيقبل منك أم لا؟! ولا تأمن ذنوبك فإنك لا تدري أكفرت عنك أم لا؟! إن عمك مغيب

عنك كله . .

تأسعاً: داوم على العمل الصالح وإياك والكسل والتراخي فإنها مدعاة إلى الفتور وربما الانتكاسة - والعياذ بالله . . وليكن لك خبيثة من عمل صالح لا يعلمها إلا الله من بكاء ندم، وصدقة سر، واعلم أن خير العمل «أدومه وإن قل». وساهم مع المؤسسات الدعوية والإغاثية ومكاتب الجاليات ولو بجهد بسيط لنفع الإسلام والمسلمين ونفع نفسك قبل ذلك.

قال الحسن: أبى قوم المداومة، والله ما المؤمن بالذي يعمل شهراً أو شهرين أو عامًا أو عامين، لا والله ما جعل لعمل المؤمن أجلاً دون الموت!
والنصائح والتوجيهات بين المحبين كثيرة ولكن حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق.

وماذالي إذا عدت؟

أبشر إذا عدت إلى الله بجنة عرضها السماوات والأرض ،
وقبل ذلك رضوان من الله ورحمة وعفو ومغفرة . .
ولك سعة في الرزق وهناء في العيش ولذة عبادة وصحبة
إخوة صالحة . .

إنها سعادة وتوفيق في الدنيا والآخرة . . اجتمعت لك
سعادة الدنيا ونعيم الآخرة في عودة تُعلنها وفي رجوع تخطوه .
أبشر فلك بعد التوبة أن يبدل الله سيئاتك حسنات . . نعم
أبشر بالخير العظيم . .

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ
اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ . .﴾^(١)

هذا في الآخرة . . أما في الدنيا وهي ما تحب أن تراه عاجلاً

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٠.

فأبشر بالسعادة والطمأنينة وأبشر ببهاء الوجه وهدوء النفس . .

أبشر بصحبة الأخيار وقراءة القرآن ومحبة الصالحين . .

أبشر بحياة طيبة في الدنيا والآخرة . .

قال الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٩٧) (١).

وأبشر بخير عظيم . . ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ

أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٧)

تأمل في يوم واحد من أيام عودتك . . إنها سعادة لا تنكرها وصفاء لا مثيل له . . سمعك يُعطر بآيات من القرآن وبحديث علماء الأمة ودعاتها . . أما بصرك فهو قراءة في مصحف أو نظر في ملكوت السماوات والأرض !! أما دمعك فهي خوف من الله ورجاء وطمع في رحمته . .

أما قلبك فلا تتحدث عنه . . فهو في سعادة وأمن وراحة

(١) سورة النحل، الآية: ٩٧ .

وطمأنينة!! شغلك الشاغل : هل أذن المؤذن؟! وهمك نصره
 هذا الدين . . ثم ألا ترى معي أنه زاد عقلك وذهبت خفته
 التي كانت تظهر لك بعد مشاهدة مباريات كرة القدم؟! ألا
 ترى أن دموعك تنحدر خوفاً من الله لما عنده؟!!

تأمل جلساءك في السابق!! النطيحة والمتردية ممن أضاعوا
 الصلاة وغفلوا عن الحساب . . همهم لا يتجاوز موضع
 أقدامهم . . واليوم رفعك الله إلى مكانه عليّة ومنزلة رفيعة . .
 فها أنت تسير مع إمام المسجد وتحدث العلماء وتصافح
 الدعاة!!!

أخي الشاب:

جربت طرقاً كثيرة سنوات عديدة!! لا يمنع أن تجرب هذا
 الطريق أسبوعاً واحداً . . ثم ليكن بيني وبينك موعد عند كل
 أذان أدعوك وتدعولي!!!

فوائد

فائدة: قوله تعالى في المطففين الذين أورثهم الله الكتاب: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾^(١).

اشترك هؤلاء الثلاثة في أصل الإيمان، وفي اختيار الله لهم من بين الخليقة وفي أنه منّ عليهم بالكتاب، وفي دخول الجنة، وافترقوا في تكميل مراتب الإيمان، وفي مقدار الاصطفاء من الله وميراث الكتاب، وفي منازل الجنة ودرجاتها بحسب أوصافهم.

أما الظالم لنفسه، فهو المؤمن الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً؛ وترك من واجبات الإيمان ما لا يزول معه الإيمان بالكلية، وهذا القسم ينقسم إلى قسمين:

(١) سورة فاطر، الآية: ٣٢.

أحدهما: من يَرِدُ القيامة وقد كُفِّرَ عنه السيئات كلها. إما بدعاء أو شفاعة أو آثار خيرية ينتفع بها في الدنيا أو عُذِّبَ في البرزخ بقدر ذنوبه، ثم رفع عنه العقاب وعمل الثواب عمله، فهذا من أعلى هذا القسم وهو الظالم لنفسه.

القسم الثاني: من ورد القيامة وعليه سيئات؛ فهذا توزن حسناته وسيئاته ثم بعد هذا ثلاثة أنواع:

أحدها: من ترجح حسناته على سيئاته، فهذا لا يدخل النار، بل يدخل الجنة برحمة الله وبحسناته، وهي من رحمة الله.

ثانيها: من تساوت حسناتهم وسيئاتهم فهؤلاء هم أصحاب الأعراف، وهي موضع مرتفع بين الجنة والنار يكونون عليه، وفيه ما شاء الله، ثم بعد ذلك يدخلون الجنة، كما وصف ذلك في القرآن.

الثالثا: من رجحت سيئاته على حسناته فهذا قد استحق دخول النار، إلا أن يمنع من ذلك مانع، من شفاعة الرسول له، أو شفاعة أحد أقاربه أو معارفه ممن يجعل الله لهم في القيامة شفاعة لعلو مقاماتهم على الله وكرامتهم عليه؛ أو

تدرکه رحمة الله المحضة بلا واسطة، وإلا فلا بد له من دخول النار يعذب فيها بقدر ذنوبه، ثم مآله إلى الجنة؛ ولا يبقى في النار أحد في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان، كما تواترت بذلك الأحاديث عن النبي ﷺ وأجمع عليه سلف الأمة وأئمتها.

وأما المقتصد فهو الذي أدى الواجبات وترك المحرمات، ولم يكثر من نوافل العبادات، وإذا صدر منه بعض الهفوات بادر إلى التوبة فعاد إلى مرتبته، فهؤلاء أهل اليمين، وأما من كان من أصحاب اليمين:

﴿ فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ (٩١) (١).

فهؤلاء سلموا من عذاب البرزخ وعذاب النار، وسلم الله لهم إيمانهم وأعمالهم فأدخلهم بها الجنة، كل على حسب مرتبته.

وأما السابق إلى الخيرات فهو الذي كمل مراتب الإسلام وقام بمرتبة الإحسان، فعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه

(١) سورة الواقعة، الآية: ٩١.

فإنه يراه، وبذل ما استطاع من النفع لعباد الله، فكان قلبه ملآن من محبة الله والنصح لعباد الله، فأدى الواجبات والمستحبات، وترك المحرمات والمكروهات وفضول المباحات المنقصة لدرجته، فهؤلاء هم صفوة الصفوة، وهم المقربون في جنات النعيم إلى الله، وهم أهل الفردوس الأعلى، فإن الله كما أنه رحيم واسع الرحمة، فإنه حكيم ينزل الأمور منازلها ويعطي كل أحد بحسب حاله ومقامه، فكما كانوا هم السابقين في الدنيا إلى كل خير، كانوا في الآخرة في أعلى المنازل؛ وكما تخيروا من الأعمال أحسنها، جعل الله لهم من الثواب أحسنه؛ ولهذا كانت عين التسنيم أعلى أشربة أهل الجنة، يشرب منها هؤلاء المقربون صرفاً، وتمزج لأصحاب اليمين مزجاً في بقية أشربة الجنة، التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كما قال تعالى: ﴿ وَمَزَاجُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ (٢٨) (١).

وهكذا بقية ألوان وأصناف نعيم الجنة لهؤلاء السابقين منه

(١) سورة المطففين، الآيتان: ٢٧، ٢٨.

أعلاه وأكملة وأنفسه، وإن كان ليس في نعيم الجنة دني ولا نقص ولا كدر بوجه من الوجوه، بل كل من تنعم بأي نعيم من نعيمها لم يكن في قلبه شيء أعلى منه؛ فإن الله أعطاهم وأرضاهم، وخيار هؤلاء الأنبياء على مراتبهم، ثم الصديقون على مراتبهم، ولكل درجات مما عملوا، فسبحان من فاوت بين عباده هذا التفاوت العظيم، والله يختص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

الحق والباطل

لا أخفيك .. ولا أخبئ عنك ..

أنا مفتون!!

سأله في استغراب .. كيف يكون ذلك؟! هل في قلبك

شك؟! أم ماذا؟

هز الناصح رأسه وقال:

هات كأسًا واملاءه ماءً .. ثم ضع نقطة من السم عليه!!

هل يجتمعان؟! كيف تريد أن يجتمع في قلبك حب الغناء

وحب القرآن؟!

وتابع وهو يشير بيده ..

حتى ومن قال بإباحة الغناء من بعض العلماء فإنه قصد

الغناء بالصوت وحده دون آلة لهو أو طرب .. مثل حذاء

الركبان بدون كلمات فحش ولا بذاءة ..

أما بآلات اللهو .. فلم يُفْتِ أحدٌ بجوازها!! لا

تتعجب . .

أرأيت ما تتكىء عليه وتضعه حجابًا لك عن النار!!
وتقول إن العلماء أجازوا وورخصوا!!
إنه الصوت فقط . .

ثم إني سائلك ومستفتيك مثل ما استفتى ابن عباس
أحدهم وهو يسأله عن الغناء . .

فقال: أرأيت إذا كان يوم القيامة أين يكون الغناء؟! في
ميزان الحسنات أو السيئات؟!

رفع صوته نحو رفيقه وهو يلح عليه .

أجبنى أنت . . أين يكون؟!

هل هو زاد تتقرب به إلى الله أم هي أوزارُ وسيئات تحملها

على ظهرك يوم القيامة؟!!

يوم تكون في حاجة إلى حسنة . . نعم إلى حسنة واحدة . .

إنه يوم الفقر الشديد .

أخي الحبيب:

هلا استبدلت شريط الغناء بشريط قرآن أو محاضرة . .

استمع - حفظك الله - ولو مرة واحدة شريطاً لأحد أئمة الحرم . . لترى كيف يفيض دمعه وتتغير نبضات قلبك .
لكم حُرمت من الخير بسبب ذلك التفريط . . فالمعصية وراءها معصية والحسنة تتبعها حسنة .

وقفية:

قال ابن تيمية قدس الله روحه: «ولقد حدثني بعض المشايخ أن بعض ملوك فارس، قال لشيخ رآه قد جمع الناس على مثل هذا الاجتماع [رقص وغناء . .]: يا شيخ؛ إن كان هذا هو طريق الجنة، فأين طريق النار؟»^(١).

(١) الاستقامة لابن تيمية ١/٣١٧.

علامات مضيئة

- * قالت عائشة رضي الله عنها: أقلُّوا الذنوب، فإنكم لن تلقوا الله عز وجل بشيء أفضل من قلة الذنوب.
- * قال مورق العجلي: ما وجدت لمؤمن مثلاً إلا مثل رجل في البحر على خشبة فهو يدعو يا رب، يا رب، لعل الله عز وجل أن ينجيه.
- * قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه: من أحب الجنة انقطع عن الشهوات، ومن خاف النار انصرف عن السيئات.
- * قال الربيع بن خيثم لأصحابه: تدرُونَ ما الداء والدواء والشفاء؟ قالوا: لا، قال: الداء الذنوب، والدواء الاستغفار، والشفاء أن تتوب فلا تعود.
- * عن طلق بن حبيب قال: إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد، وإن نعم الله أكثر من أن تحصى، ولكن أصبحوا تائبين، وأمسوا تائبين.

- * قال ابن سيرين: إذا أراد الله عز وجل بعبده خيرًا جعل له واعظًا من قلبه يأمره وينهاه.
- * قال معاذ بن جبل: إن المؤمن لا يسكن روعه، حتى يترك جسر جهنم وراءه.
- * قال بلال بن سعد: رُبَّ مسرور مغبون يأكل ويشرب ويضحك وقد حُقَّ له في كتاب الله عز وجل أنه من وقود النار.
- * قال سلمة بن دينار لجلسائه: لوددتُ أن أحدكم يُبقي على دينه كما يبقي على نعله.
- * قال الحسن: يا ابن آدم ترك الخطيئة أيسر من طلب التوبة.

الهمة العالية

ودعتُ أهلي . . حزناً لفراقهم .
فرحاً بقدومي إلى هذه الأرض . .
لأول مرة أدخل المطار . . ولأول مرة سأركب الطائرة . .
ستصعد بنا إلى أعلى . . وأكون معلقاً بين السماء والأرض . .
مشاعر متلاحقة . . وعواطف متقلبة . .
زحف الخوف على قلبي . .
لم يكن هناك متسع للتفكير في عملي . .
أين هو . . ؟ وكيف . . ؟
المح خيالاً يلوح بناظري . . وأنا مرتدٍ ملابس
الإحرام . . هذه أمنيته . .
تحملت من أجلها الغربة والصعاب . .
يُهدىءُ ذكرها رجف الخوف في قلبي . .
تجاذبني الخواطر . . وسرتُ مع دروب كثيرة .

ركبت الطائرة بين مصدقٍ ومكذب، وكلما ألقيت نظرة
إلى الأرض البعيدة زاد خوفي وارتجف قلبي.. حتى مضت
الثلث ساعات.. بعدها هبطنا بسلام..
وقطع تفكيري موظف الجوازات.. ناولته جواز
سفري..

* ما هي مهنتك؟ .. راعي غنم..!؟

أجبتة.. نعم..

بعد خروجي من صالة المطار.

استقبلني صاحب العمل.. فرحًا.. مبتسمًا..

استبشرت خيرًا..

لم ألمح سوى أنوار المدينة من بعيد.. ثم اختفى كل

شيء.. الأسئلة تتوالى.. كم سنة رعيت الغنم.. تعرف

أمراضها وأسقامها؟

وما أن فرغ من الأسئلة الطويلة.. والنوم يغالبني..

حتى توالت النصائح..

لا تُفرط.. ولا تهمل.. عليك بالجد والاجتهاد.

أقبلنا على خيمة صغيرة.. بعدما اجتزنا طرقًا وعرة..

هذا مسكنك .. فرحت بسعة المكان .. وبالهدوء
الجميل .. خيمتي في مكان مرتفع .. ويسكن معي فيها أكوام
من الأعلاف والشعير .. لم تترك لي سوى ركن صغير ..
ما تبقى من الخيمة كان مطبخي ..

استيقظتُ لصلاة الفجر .. بعد نومٍ مريح ..

بدأت أول يومٍ من أيام عملي ..

نظرت إلى غنمي .. واحدة واحدة ..

انطلقن أمامي .. وانطلقت أحمل طعامي .

استويت على ظهر دابتي ..

﴿ سُبْحٰنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ

رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (١) .

ارتفعت الأتربة على أثر سير الغنم .

ونحن نسير الهوينا .. بدأت الخيمة تختفي ..

التفت إليها مودعًا .

موعد الإياب غروب الشمس ..

(١) سورة الزخرف، الآيتان: ١٣، ١٤ .

بعد مسير طويل . . حططنا رحالنا . .
 تفقدت المكان . . وأطعمت الصغار . .
 أذنتُ لصلاة الظهر . .
 تردد صدى صوتي في الأماكن القريبة . .
 اطمأنت أن الغنم حولي . . أقمت الصلاة . . وصلت . .
 رحلتُ بعيداً حيث مسجدنا هناك . .
 تذكرت بداية حفظي للقرآن .
 عاد صوت والدي إلى مسامعي . . وهو يوصيني بحفظ
 القرآن، فرصة لا تعوض . . وغنيمة باردة . .
 ليس لديّ ما يشغلني . . ومن هنا يُحادثني؟
 من شدة الحر . . لم أزد على ثلاث لقيمات أكلتها . .
 وعندما حانت العودة .
 كنت قد اتخذت القرار المهم . . سأحفظ القرآن إن شاء
 الله . . نعم . . وأنا أرى الغنم .
 شكرت الله على هذا التوفيق .
 وأن عملي خارج المدينة . . هنا رغم شدة العيش وقسوة
 الحياة . . لا غيبة . . ولا نسيمة . . ولا فتن . . صفاء في كل

شيء . . .
 ما إن تراءت الخيمة . . حتى أسرع الخراف والنعاج
 سريعاً . . وصلن إلى حيث الماء .
 توضأت وأذنت لصلاة المغرب .
 هذا كان أول يوم لي هنا . . وأيامي هكذا . .
 يوم الجمعة أسير على قدمي لأشهد الصلاة .
 أخبرت صاحب العمل .
 أي ما جئت إلى هنا إلا رغبة في أداء مناسك الحج . .
 ولكنه أجاب ببرود واضح بقي شهور ولم أر ذلك الحماس .
 تسألني . . هذا هو قدومي . .
 ولكنك تعجب كيف حفظت القرآن؟
 في الصباح وأنا ذاهبٌ بغنمي . . أراجع ما حفظته
 أمس . . وعندما يستقربني المقام . . أبدأ بالحفظ .
 وإذا قفلتُ عائداً راجعت ما حفظته في يومي . . وأكرر
 المراجعة صباح الغد . .
 وفي يومي الخميس والجمعة . . مراجعةً لكامل حفظي . .
 سأله رفيقي متعجباً .

ليس لديك مذياع .. ولا تلفاز .. ولا تقرأ الصحف!! .
 كيف تعرف أحداث العالم؟ .. وماذا يجري ..؟
 معزول عن العالم أنت .. هذا واقعك .
 تطوعت للإجابة .. ماذا استفدنا؟ .. وماذا استفاد؟ ..
 اعتدل الراعي في جلسته .. همومي قليلة .. وفي وقتي
 متسع يُشغلني مرض غنيمة من الغنيمات .. أو تمزقٌ في ثوبي .
 هذه الأحداث الكبرى عندي .
 أما ولادة نعجة من النعاج فهذا الحدث العالمي ..
 قلت لرفيقي .. كيف ترانا على هذه الدنيا .. نجري ..
 ونجري . ولا نقرأ القرآن شهرًا أو شهرين .
 قلنا له ..
 حياتك خير من حياتنا .. أنت وغنماتك خيرٌ من دنيانا ..
 وما أن ركبنا عائدتين ..
 حتى وضع رفيقي يده على المذياع .
 وقال ..
 حديث الناس هذه الأيام .
 تمزقٌ في طبقة الجو العليا ..!!

هل من مُشمر؟!؟

هل من مُشمر؟!؟

نعم هناك مشمرون . .

ولكن التشمير إلى أين؟!؟

إنه إلى جنة عرضها السماوات والأرض .

مسارةً للخطى . . وتقوية للعزائم . . وحث

للنفوس . . إنها خطوات في الطريق إلى هناك، حيث الموقف

العظيم . . ثم برحمة الله إلى روح وريحان وجنة نعيم .

نستدرك بالتشمير تقصيرنا . . ونعوض بالسير القويم

تكاسلنا وتأخرنا .

هل من مشمر؟!؟

كل يوم في طريق . . وكل حين في سبيل .

خطوات متسارعة وقفزات متتابعة . .

نسد الفرج . . ونُغلق الثلم .

نُحصن أنفسنا . . ونبني ديارنا . .

هل من مُشمر؟!

نداءً لمن تأخر عن الركب . . ولا يزال يرى القافلة . .

شمّر عن ساعدك . . واستدرك أيامك . .

إلى من حجبتة سحب المعصية وغيوم الذنوب . . لا نزال

نتنظر إطلالتك وانقشاع الظلام عن عينك . . فهيا أقبل وكن

من أول الركب . . فأنت ابن الإسلام!! . .

رب ارجعون

أخي الحبيب..

أحمد الله عز وجل أننا نجتمع على أخوة إسلامية ورابطة إيمانية.. الحمد لله لم نجتمع على وثن أو صنم يعبد أو في كنيسة ومعبد.. فاللهم لك الحمد ولك الشكر على نعمة الإسلام ونعمة الهداية.

أخي التائب: نادى منادي الإيمان ﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ، يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾^(١).

فأسرع وشمّر قبل أن يهجم عليك الزائر الذي لا يُرد ولا تستطيع إرجاعه ﴿مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِكَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٢).

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٣١.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ١٠.

قبل النهاية

قبل النهاية . . وقد سرت معي في هذه السطور القليلة التي تعلوها آية ويُجمّلها حديث . . أحذرك أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَإِذَا نُتِلَّ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ وَقْرًا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (١)، عليك بالتوبة واستعد لأمر يفجأك على غير موعد . . فاحمد الله عز وجل الذي أمهلك . . ومن العيوب سترك . . وإلى طريق الهداية سيترك . . وعن طريق المعاصي قيدك . . ! فإن الأعمال بالخواتيم، فمن أحسن فيما بقي غفر له ما مضى وما بقي، ومن أساء فيما بقي أخذ بما مضى وما بقي .

أخي الحبيب:

هلم إلى الدخول على الله ومجاورته في دار السلام بلا

نصبٍ ولا تعب ولا عناء، بل من أقرب الطرق وأسهلها، وذلك أنك في وقت بين وقتين وهو في الحقيقة عمرك، وهو وقتك الحاضر بين ما مضى وما يُستقبل، فالذي مضى تُصلحه بالتوبة والندم والاستغفار، وذلك شيء لا تعب عليك فيه ولا نصب ولا معاناة عمل شاق، إنما هو عمل قلب. وتمتنع فيما يستقبل من الذنوب، وامتناعك ترك وراحة ليس هو عملاً بالجوارح يشق عليك معاناته، وإنما هو عزم ونية جازمة تريح بدنك وقلبك وسرك.

فيما مضى تصلحه بالتوبة، وما يستقبل تصلحه بالامتناع والعزم والنية، وليس في هذين نصب ولا تعب، ولكن الشأن في عمرك وهو وقتك الذي بين الوقتين، فإن أضعته أضعفت سعادتك ونجاتك، وإن حفظته مع إصلاح الوقتين اللذين قبله وبعده بما ذكر نجوت وفُرت بالراحة واللذة والنعيم، وحفظه أشق من إصلاح ما قبله وما بعده، فإن حفظه أن تلزم نفسك بما هو أولى بها وأنفع لها وأعظم تحصيلاً لسعادتها.

وفي هذا تفاوت الناس أعظم تفاوت، فهي والله أيامك

الخالية التي تجمع فيها الزاد لمعادك، إما إلى الجنة وإما إلى النار، فإن اتخذت إليها سبيلاً إلى ربك بلغت السعادة العظمى والفوز الأكبر في هذه المدة اليسيرة التي لا نسبة لها إلى الأبد، وإن آثرت الشهوات والراحات واللهو واللعب انقضت عنك بسرعة معاناة الصبر عن محارم الله والصبر على طاعته ومخالفة الهوى لأجله^(١).

أيها الشاب..

إني أدعوك أن تكون أحد هؤلاء السبعة الذين يكرمهم الله عز وجل فيظلهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله كما أخبر بذلك الرسول ﷺ «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله . . .» وذكر منهم «وشاب نشأ في عبادة ربه . . .»^(٢) فأقدم ولا تتأخر وأسرع ولا تؤجل . . . فمثلك يفكر في جواب سؤال عظيم كما قال الرسول ﷺ «لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يُسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه، وعن

(١) كتاب الفوائد .

(٢) متفق عليه .

شبابه فيما أبلاه، وماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه وماذا عمل فيما علم»^(١).

أخي الحبيب .. أنت أمل الأمة بعد توفيق الله عز وجل ..
 فإن الرجل القدوة لأشد على أعداء الله من كل عُدّة ..
 ولذلك تمنى الناس ذهباً ينفقونه في سبيل الله .. فكانت
 كلمات عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ولكني أتمنى رجلاً
 مثل أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي
 حذيفة .. فأستعين بهم على إعلاء كلمة الله .

وأنت أيها الشاب من ترى يرفع راية لا إله إلا الله؟! هل
 هم المنصرون أو اليهود والكفار عموماً أم يدٌ متوضئة ما
 سجدت إلا لله ولا حنت الجباه إلا له .. فكن أنت ذلك
 الرجل .

(١) رواه الترمذي .

اخاتمة

* يقول الله عز وجل: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ... ﴾ (١).

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ (٢).

* قال ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً» (٣).

* كان الحسن رحمه الله يقول: رحم الله رجلاً لم يغره كثرة ما يرى من الناس. ابن آدم، إنك تموت وحدك، وتدخل القبر وحدك، وتبعث وحدك، وتحاسب وحدك.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.

(٣) رواه البخاري.

الفهرس

٣٩ .. لا تكن من هؤلاء ..	٣	المقدمة
٤٢... أبشر بخير عظيم ..	٥.....	قبل البداية
٤٥	٧	القصة الأولى
٥١.. سبحان الله العظيم ..	١٢	القصة الثانية
٥٣.....	١٨.....	القصة الثالثة
٥٥	٢٤.....	همسة صادقة
٦٠... هذه هي أولوياتنا ..	٢٥.....	الحرب القذرة
٦٩... وماذالي إذا عُدت؟ ..	٢٦.....	قصص التائبين
٧٢	٢٩ ..	كلمات في التوبة ..
٧٧	٣١.....	خمس دقائق
٨٠.....	٣٤ ..	الأنفاس الأخيرة ..
٨٢	٣٦ ..	أبشر برحمة ومغفرة ..